**المقال الأول**

**النصف الأول من القرن العشرين**

**أو مصر تحكمها أسرة محمد علي**

تحدثنا سابقاً عن أسرة محمد علي وأسرته لمصر... الذي استمر قرن ونصف أي طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وقد ذكرنا قائمة الحكام من هذه الأسرة وهم:

* محمد علي باشا ( 1805- 1849)
* عباس باشا الأول (1849- 1854م)
* سعيد باشا ( 1854- 1863م)
* الخديوي إسماعيل ( 1863- 1879م)
* الخديوي توفيق ( 1879- 1881م)
* الخديوي عباس الثاني ( 1881- 1914م)
* السلطان حسين كامل ( 1914- 1917م)
* الملك فؤاد الأول ( 1917- 1936م)
* الملك فاروق ( 1936- 1952م)
* الملك الرصيع فؤاد الثاني( 1952- 1953م)

وصلنا في حديثنا إلى الخديوي توفيق ... الذي في أيامه قام أحمد عرابي مع صحبه بثورته... ووقعت البلاد في فوضى شاملة، وبدأ الشعب (ومعهم الجنود المصريون) في مهاجمة الأجانب والمسيحيين... قتل وحرق ونهب. وكان أن تدخل الإنجليز ومعهم الفرنسيين وخربوا الأسكندرية، ثم نزلوا بجنودهم لحماية السكان الأجانب. بعدها احتل الأسطول الإنجليزي قناة السويس بعد هزيمة أحمد عرابي..... ثم سار الجنود الإنجليز إلى القاهرة واحتلوها. كان ذلك في 15سبتمبر سنة 1882م.

**في السطور التالية، نستكمل ما بدأناه عن حكام مصر من أسرة محمد علي باشا.**

**الخديوي عباس الثاني**

**(1881- 1914م)**

في عهده، كانت إنجلترا تحكم مصر عن طريق المندوب السامي البريطاني. وقام مصطفى كامل بحركته ضد الإنجليز وأسس الحزب الوطني الذي كان توجهه إسلامياً... وقد عمل على تقوية العلاقات بين مصر والدولة العثمانية. ولأول مرة في تاريخ مصر يكون رئيس الوزراء قبطياً، وهو بطرس غالي باشا ( 1908- 1910م) ذي الشخصية القوية الكفاءة... ولكنه لم يستمر طويلاً، إذ تم إغتياله.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، كان الخديوي آنذاك في تركيا. وبسبب خشية الإنجليز في احتمال إنضمام الخديوي إلى عدوهم (تركيا) عزلوه وأقاموا مكانه عمه حسين كامل.

**السلطان حسين كامل**

**(1914- 1917م)**

حسين كامل هو من اختاره الإنجليز ليملك بدلاً من الخديوي عباس الثاني، وقد لقبوه بالسلطان نكاية في السلطان العثماني عدوهم. وفي اليوم السابق لتنصيبه، أعلن الإنجليز الحماية على مصر وإلغاء السيادة التركية. ولم يعترض أحداً على ذلك، إلا قيادات الحزب الوطني بقيادة محمد فريد.

**الملك فؤاد الأول**

**(1917- 1936م)**

في عهده، قامت ثورة 1919م بقيادة سعد زغلول، على مبدأ المواطنة وبصرف النظر عن الدين. وكان هدفها بناء دولة عصرية مستقلة، لذا نادت بالإستقلال عن الإنجليز وعمل دستور دائم للبلاد. ورغم ذلك لم تسلم البلاد من المنادين بخلط السياسة بالدين، مما أدى إلى أحداث مؤسفة ضد الأقباط والأجانب.

وجرت مفاوضات ومفاوضات بين زعماء الشعب والإنجليز بهدف نوال الإستقلال، أنتج في النهاية إعلان الاستقلال في 28 فبراير سنة 1922م. وهو إستقلال مقيد لأن الإنجليز كانت لهم بعض التحفظات والشروط مثل تأمين المواصلات البريطانية بمصر، وحماية مصالح الأجانب والأقليات، والدفاع عن مصر ضد أي إعتداء أجنبي، ومسألة السودان. بعدها، بدأ الإعداد لوضع دستور للبلاد قائم على أساس إعلان الإستقلال في 28 فبراير 1922م.

وكان الحراك السياسي في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين شديداً. وطفت على السطح مشكلة الأقليات... ورفض الجميع من الزعماء؛ مسلمين وأقباط شرط وتحفظ إنجلترا والخاص بحماية الأقليات. ولكن من ناحية أخرى، نشب جدال سياسي بين من يؤيد تمثيل الأقليات في البرلمان ومن يعارضه... كلٍ دافع عن وجهة نظره سواء أكان إتجاهه وطنياً مدنياً أو إسلامياً دينياً.

وفي سنة 1928م، نشأت جمعية الإخوان المسلمين بقيادة الشيخ حسن البنا، التي قلبت المجتمع وقسمته بين مؤمنين ومسلمين وكفرة مسيحين. أيضاً، كانت هناك مجادلات ومناقشات واسعة عن موضوعات مثل (مشكلة) بناء الكنائس و (مشكلة) تدريس الديانة المسيحية للطلبة المسيحيين في المدارس. وقد قررت وزارة الداخلية في سنة 1934م الشروط العشر المجحفة لبناء الكنائس.... والتي نعاني منها حتى الآن (العقد الثاني من القرن الواحد والعشرون).

ومرت الأيام ثقيلة على إقتصاد مصر في الأزمة العالمية في الثلاثينيات، وتفاقمت الأزمة السياسية بين طرفين؛ الوفد الذي يمثل الأغلبية وبين أحزاب الأقليات. وجرت أحداث وأحداث إلى أن جاء عام 1936م، وعقدت مصر مع إنجلترا معاهدة الصداقة، وكان من أهم شروطها إنهاء الاحتلال، والإتفاق على إلغاء الإمتيازات الأجنبية (أُلغيت فيما بعد بمعاهدة مونتريه سنة 1937م)، والتشاور في المسائل الخارجية، والسماح ببقاء قوات إنجليزية في منطقة قناة السويس.

وفي نفس العام، توفى الملك فؤاد، وخلفه على العرش ابنه القاصر "فاروق"

**الملك فاروق**

**(1936- 1952م)**

اقترح السراي الملكي وخاصة الأمير محمد علي ولي العهد ورئيس مجلس الوصاية أن يجري تتويج الملك فاروق (القاصر) في حفل ديني يقام في القلعة!! ويقلده فيه شيخ الأزهر سيف جده الأكبر محمد علي...بعده يؤم فاروق المصلين في الأزهر كإمام للمسلمين!! والمعنى هنا واضح وهو أن يجمع بين يديه السلطتين الزمنية والدينية معاً!! وقد تحمس كبار رجال الأزهر بقيادة شيخ الأزهر مصطفى المراغي لهذا الاقتراح. وبدأت القوى السياسية المواليه للقصر والمعادية للوفد (حزب الأغلبية) تروج لهذا الاقتراح. ولكن "حزب الوفد" وقف ضد هذا الاقتراح الذي يعني أن تُحكم الدولة حكماً دينياً، يُقسم الدولة إلى مسلمين وأقباط. وانقسم المجتمع السياسي إلى قسمين: أحزاب الأقلية ومصر الفتاه والسراي والإخوان المسلمون في جهة، والوفد- الذي اُتهم بالقبطية- في جهة أخرى.

وبدأت الفتنة تطل برأسها على المجتمع المصري، وهاج الأزهر وبدأ يرفع سلاح الدين. وهاجم الأزهر الوفد، كما تكلم شيخ الجامع الأزهر الشيخ المراغي عن الملك بصفته حامي الإسلام. وكانت الصحف المعادية للوفد، تنشر صورة الملك مع الشيخ المراغي أثناء خروجه بعد الصلوات من المساجد.

وانتقل الصراع من النخبة إلى الشارع، وانتظم الناس في الجمعيات الدينية مثل جمعية أنصار السنة المحمدية والإخوان المسلمين.... وتجمعت المظاهرات أمام الأزهر وأمام قصر عابدين، وكانت الهتافات تهتف باسم الملك الصالح، ويحيا الملك، والملك فوق الجميع، والأزهريون فداء الملك... الخ. وفي 21 ديسمبر 1937م، تجمع الآلاف أمام مقر عابدين... ورأوا سيارة مكرم عبيد فسبوه وحطموا سيارته. وأطل الملك من الشرفه، فهتف الجميع "يسقط الوزير القبطي"!

وطوال عام 1938م، استمر الشيخ المراغي في الهجوم على الأقباط من فوق المنبر. وفي خطابه بمناسبة عيد الأضحى يشير إلى "الثعالب".... ثم يمضي ويقول: " الذين ركن المسلمون إلى مودتهم وهم يدعون إلى غير هذه المودة، بل لعلهم يدعون إلى بغض المسلمين ومقاتلتهم وإلى أن يضرب بعض المسلمين بعضاً". وكان الإخوان المسلمين أكثر حدة من الجميع في مهاجمة الأقباط، وبداءوا يطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية. كان الإخوان المسلمين يعادون الوفد والحياة الحزبية والدستور في مقابل دفاعهم عن الملك والسراي.

كانت وزارة النحاس باشا (الوفدية) هي التي تحكم في تلك الفترة.... وخاض النحاس باشا حرباً شرسة ضد إقحام الدين في شئون الحكم. وفي 30/ 12/ 1937م وجه الملك أمر إقالة إلى النحاس جاء فيه:" نظراً لما اجتمع لدينا من أن الشعب لم يعد يؤيد طريقة الوزارة في الحكم وأنه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور، وبعدها عن الحريات العامة.... لم يكن بد من إقالتها".

وقبل قيام ثورة يوليو 1952م، كانت هناك أحداث هامة على المستوى العالمي والعربي والمصري:

دولياً: انتصر الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ( 1939- 1945م).

وعربياً: هُزمت الجيوش العربية في حرب فلسطين، وتأسست دولة إسرائيل سنة 1948م.

ومصرياً: عودة الوفد مرتين للحكم ( سنة 1942، وسنة 1950م)، وأحداث العنف من جماعة الإخوان، وحريق القاهرة في 26 يناير 1952م، وأخيراً قيام ثورة يوليو 1952م.

**الظروف والأحوال التي شجعت على الفتنة الطائفية**

عمدت الوزارات غير الوفدية على إستمرار حرمان الأقباط من الوظائف الإدارية الكبرى وقصرها على المسلمين. أيضاً، محابة الموظفين المسلمين على حساب نظرائهم الأقباط. كما استغل كبار الموظفين في الحكومة( وهم من المسلمين) العاطفة الدينية لدى العامة ليحققوا أغراضهم غير المشروعة. كذلك، ظهور جماعة الإخوان المسلمين الذين اتخذوا سياسة علنية لمعاداة الأديان الأخرى. كل هذا أدى إلى اشعال فتنة واتجاه عدائي تجاه الأقباط. وقد ذكر مؤلف كتاب "وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر" (1) في الصفحات من 132 إلى 150 بعض الأمثلة والنماذج التي شجعت على الفتنة الطائفية، نذكر بعضها في السطور التالية:

**أولاً: في الناحية الثقافية والعلمية**

* **تعليم المسيحيين الدين الإسلامي تحت ستار اللغة العربية والتاريخ**

بدايةً لابد أن يكون مدرس اللغة العربية مسلماً!! أما من جهة الكتب الدراسية الخاصة باللغة العربية والتاريخ، فهي مليئة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية... وبعض أجزاء المنهج فيه هجوم على الأديان الأخرى. كذلك يحتم مدرسي اللغة العربية على الأطفال المسيحيين ذكر "البسملة" و " الصلعمة" وحجة وزارة المعارف في ذلك هو تمكين الطلبة من ناحية اللغة، وبالطبع الرد على هذه الحجة بسيط وهو أن اللغة العربية سابقة على وجود الإسلام، كما أن من العرب في العصر الجاهلي مسيحيين ويهود. أيضاً، من المعروف أن نهضة اللغة العربية عامة والصحافة خاصة- منذ أيام محمد علي – قد قامت على أكتاف المسيحيين اللبنانيين والسوريين أمثال اليازجي والبستاني والحداد وزيدان وغيرهم.

* **مأساة الأنسة سارينا**

عندما كانت طفلة، درست في مدرسة الطائفة الإسرائيلية بالعباسية. وبحسب قرارات وزارة المعارف، كان لابد لجميع المدارس( حكومية أو خاصة) أن تتبع مناهج الوزارة، وعليه فقد كانت تتابع منهج الديانة الإسلامية في الحصة المخصصة لذلك، وكذلك منهج التاريخ. إلى أن فوجئ الجميع بأنها تريد إعتناق الإسلام وهي تبلغ من العمر الخامسة عشر.

ورغم أنها قاصر، تم عرض الموضوع على مفتي الديار المصرية الذي أفتى بأن هذه الفتاة مسلمة بمجرد إقرارها بالشهادتين، ولا ولاية لوالديها عليها لبلوغها سن الرشد الشرعي خمسة عشر عاماً هلالية... الخ. بالطبع في مثل هذه الحالة، يتسابق الجميع لتسهيل وتسريع الإجراءات!!

وهاجم الفاتيكان مصر والمصريين، لأن وزارة المصارف تمنع تدريس الديانة المسيحية للمسيحيين، كما ترُغم المدراس المسيحية على إنشاء المساجد (المصليات) في مدارسهم. كما كتب الدكتور طه حسين مقالة، قال فيها إن الدستور الذي نؤمن به جميعاً يساوي بين جميع المصريين- مسلمين ومسيحيين- في الحقوق والواجبات... وأن على وزارة المعارف أن تقوم بتنظيم تدريس التعليم الديني للأقباط في بعض مراحل التعليم.

**ثانياً: التعينات الحكومية والوظائف الحكومية**

* **كلية الطب**

كان أكثر من 40% من أساتذتها أقباط، أصبحت 4%، بالرغم من بقاء نسبة الطلبة الأقباط بها 40%! وأيام أن كانت الإدارة إنجليزية، كان النظام يراعي معيار الكفاءة، ولكن عندما انتقلت الإدارة إلى الأيدي المصرية، ظهرت المحسوبية، والنعرة الدينية في التعيين.. حتى صار من النادر أن نرى قبطياً يعين نائباً في القصر العيني وبالتالي في هيئة التدريس.

وكتب أحدهم في " جريدة مصر" تحت عنوان "مصرع النبوغ"، مقالة عن التمييز الفج بين الطلبة على أساس الانتماء الديني. يذكر فيها أحد الطلبة الأوائل ( الأول على دفعته في جامعة فؤاد)، الذي تزيد درجاته عن السادس في دفعته بحوالي 250 درجة. ولم يتم تعيين الدكتور ( عزمي طوبيا حنا) الأول، وتم تعيين السادس على الدفعة!!

ليس ذلك فقط، بل إن الأقباط الذين سافروا إلى الخارج على حسابهم الخاص ونالو درجات علمية رفيعة.. عندما رجعوا إلى وطنهم، لم يقبل أي واحد فيهم في عضوية هيئة التدريس !!

يقول الكاتب في مقالته:" أليس هذا يدعو إلى إنحطاط مستوى هيئة التدريس في الكليات".

* **الأنسة جرترود**

**من** خريجات كلية العلوم، وقد تقدمت برسالة الدكتوراة سنة 1946م. ورغم قرار أستاذان بمنحها درجة الدكتوراة، نظير اكتشافها معدن النيكل في مصر- أثناء أبحاثها في منجم نحاس قديم- إلا أن كلية العلوم رفضت منحها درجة الدكتوراة. وعليه ، فقد ذهبت بقضيتها إلى المحاكم.. وتنتظر الدوائر العلمية كلمة القضاء.

**ثالثاً: الوزارات الحكومية وترقيات الأقباط**

* **وزارة الأشغال**

بسبب كثرة الأقباط من خريجي كلية الهندسة، فقد صار غالبية مهندسيها من الأقباط، إلا أن كبار المنهدسين والمفتشين والمديرين من المسلمين. وهكذا ترى المهندس القديم الكفء مرؤساً لمهندس حديث (مسلم).

حتى أسماء المصارف، فقد طالها التعصب الديني، فمصرف أثناسيوس القبلي ( أو البحري) صار اسمه مصرف الأشراف القبلي (أو البحري).

* **وزارة العدل**

أصدرت وزارة العدل سنة 1931م منشوراً تنص فيه على أنه يجب أن تكون الشهادات الطبية المقبولة في القضايا الشرعية من طبيب مسلم... ولا تعليق!!

**رابعاً: الإعلام**

* **الإذاعة اللاسلكية**

في البداية، كانت تذُاع بعض العظات الدينية والترانيم الروحية للأقباط في الإذاعة. ولكن، ما إن تسلمت الحكومة المصرية "محطة ماركوني" حتى حرمت كل ما هو قبطي، رغم أنها تذيع- ليل نهار- القرآن الكريم والخطب والمواعظ والاحتفالات الدينية الخاصة بالمسلمين فقط.

وكتب كثيرون في الصحف عن هذه المشكلة، إلى حضرات الأفاضل أعضاء لجنة الإذاعة ومستشاريها دون جدوى. كان عدد المسيحيين آنذاك حوالي ثلاثة ملايين نسمة من دافعي الضرائب.

* **الألحان القبطية**

تعود مصادر الألحان القبطية إلى الألحان الفرعونية القديمة. والإذاعة المصرية لم ترفض فقط إذاعة المواعظ والترانيم المسيحية فقط، بل امتد ذلك أيضاً إلى الألحان القبطية.

كتب مدير المعهد الفرعوني للتمثيل والموسيقى في جريدة مصر: " رأى المعهد الفرعوني للتمثيل والموسيقى عند اقتراب عيد الميلاد السعيد... تقديم إذاعة موسيقى ألحان قبطية صامتة، تعبر فيها عن فرحنا بهذا العيد العظيم. وهذه الموسيقى كانت ستعزفها فرقة كبيرة كاملة هي الأولى من نوعها. وفعلاً أرسلنا للإذاعة خطاباً مسجلاً ... ولكنا لم نحظ بأي رد يحمل أي رأي !

ولما اقترب عيد القيامة المجيد رأيناها فرصة أخرى، فأرسلنا خطاباً مسجلاً باسم مدير الإذاعة وبعلم الوصول ولكن كان مصيره مصير سابقه"!

**المراجع:**

1. الملل والنحل والإعراق- مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية- شركة الطباعة العربية الحديثة.
2. الموسوعة الميسرة للتاريخ الإسلامي(2) – إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية( فدا)- مؤسسة اقرأ.
3. موجز تاريخ المسيحية للأنبا ديوسقورس- مكتبة المحبة.
4. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر(1) للراهب القمص أنطونيوس الأنطوني- مكتبة المحبة.